ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Grammatical Functions in Surah Al Imran

Moaed Salih Habeeb

Tikrit University / College of Arts

Habib Ahmed Ali

Tikrit University / College of Education for Humanities

* *Corresponding author: E-mail* :
moaedalhabeeb@tu.edu.iq
07702308547

***Keywords*:**
Empowerment,
grammatical function,
purposes,
significance,
meaning

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 2 Jan 2026
Received in revised form 22 Jan 2026
Accepted 24 Jan 2026
Final Proofreading 29 Apr 2026
Available online 29 Apr 2026
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The student of the Arabic language with contemplation and deliberation clearly sees the difference in the meanings of grammatical structures in their connotations and their role in expressing the purposes of the text product according to the units and elements of those structures and their grammatical connotation**.** The topic of the study was chosen because linguistic functions are among the vital, emerging titles that are open to research, induction, deduction and the emergence of new functions for any linguistic unit. Therefore, grammatical functions were chosen because they are one of the related grammatical mastery of words in Surat Al Imran, the subject of the study. The research is divided into two sections. The first is dedicated to defining mastery and functions linguistically and technically. The second section is concerned with examples and evidence. The grammatical functions of nouns, verbs, and letters in the Surah Al Imran are discussed.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.33.4.1.2026.4

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

تمكُّن الوظائف النحوية في سورة آل عمران

مؤيد صالح حبيب/ جامعة تكريت / كلية الآداب

حبيب أحمد علي/ جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه الطاهرين الى يوم الدين

وبعد .

فإنَّ الدارس للغة العربية بتمعن وروية يظهر له جلياً اختلاف معاني التراكيب النحوية في دلالتها ودورها في التعبير عن أغراض منتج النص حسب وحدات وعناصر تلك التراكيب ودلالتها النحوية عند الوضع بما حدده النحاة و دلالتها وقت الاستعمال ، وعندما ألزمتنا الدراسة بنشر بحث يتعلق بموضوع الاطروحة وقع الاختيار على **(تمكُّن الوظائف النحوية في سورة آل عمران)** كون الوظائف اللغوية من العنوانات الحيوية المستجدة القابلة للبحث والاستقراء والاستنتاج والخروج بوظائف جديدة لأي وحدة لغوية حسب ما يملكه الباحث من أدوات وقدرته على إثبات وترجيح ما ذهب إليه بما يملكه من أدلة وحجج وبراهين يستدل بها والتي تنقسم الى وظائف صرفية و وظائف نحوية وفق ما ذكره علماء العربية ، ولذلك اخترنا الوظائف النحوية لأنها إحدى متعلقات التمكن النحوي للألفاظ في سورة ال عمران محل الدراسة لذلك قُسِم البحث الى مبحثين الأول جعلته خاصاً بتعريف التمكن والوظائف لغة واصطلاحاً أما المبحث الثاني فجعلته للأمثلة والشواهد للوظائف النحوية في الاسماء والأفعال والحروف من سور آل عمران فالخاتمة والنتائج سعياً منا في نيل ثواب هذه الدراسة وأجرها والكشف عن بعض ملامح المعاني للمفردات القرآنية بما أدلى به علماء التفسير اثباتاً لهذه الوظائف .

الكلمات المفتاحية : التمكُّن ، الوظيفة النحوية ، الأغراض ، الدلالة ، المعنى .

المقدمة

وقع الاختيار على عنوان (تمكُّن الوظائف النحوية في سورة آل عمران) بحثاً متعلقاً بموضوع دراسة الدكتوراه الخاص بتمكُّن اللفظ لغويا من البيان القرآني وسبب اختيارنا للوظائف النحوية دون غيره من المباحث هو أن الوظائف النحوية من المباحث المهمة الفعَّالة في توجيه المعنى وتمكُّنه ودوره في الاخبار والإفهام والتأثير في عاطفة متلقي النص ، والوظائف النحوية تلتحق بالتراكيب النحوية فتساهم في تحديد وبيان معاني النحو لتلك الألفاظ داخل تلك التراكيب ، إذ إنَّ لعناصر الكلام (الاسم ، الفعل ، الحرف) دلالة معجمية خارج النص تختلف عن دلالتها داخله، وبالتالي تتعانق الدلالة المعجمية للفظة مع التركيب النحوي وسياقه لتقدم لنا وظائف جديدة تُضاف الى وظائفها الأصلية وفق الوضع الطبيعي لها ، وإنَّ دقة هذه الوظائف تثبت و تعزز حقيقة ثابتة لا ريب فيها هي القصدية في استعمال ألفاظ القرآن الكريم وعدم الترادف بين ألفاظه و وظائفه إذ لكل وحدة لغوية شيء خاص بها يميزها عن غيرها لا نجده في سواها.

بذلك قُسمت الدراسة الى مبحثين عقدتُ الأول فيه لتعريف التمكن والوظائف النحوية لغة واصطلاحاً مع التأصيل لهما في التراث العربي الأصيل مروراً بالدراسات النحوية الحديثة التي أسهمت في تقديم حدود

خاصة لهذه المصطلحات ، ومن بعدها المبحث الثاني الذي خصصته للاستشهاد من سورة آل عمران عن الوظائف النحوية بما يوافق عناصر الكلام العربي من الأسماء والافعال والحروف و بما يؤدي الغاية المرادة ويحقق الهدف المنشود من هذه الدراسة ، ولابد لنا أن نبين مسألة مهمة هي أن الاستشهاد في هذه السورة جاء بصورة انتقائية وليس احصائية أي جئنا بأمثلة محددة توضح دور وظائف الاسماء والأفعال والحروف داخل التراكيب في توجيه المعنى وتشخيصه بما أثبته علماء التفسير وأكده علماء اللغة العربية .

المبحث الأول

تمكُّن الوظائف النحوية

تلعب ألفاظ العربية التي تعد الركيزة الأساسية في أي تركيب دوراً مهماً في تحديد معانيها ووظائف أقسامها فتُشعر صاحبها بمتعة عظيمة ورحلة عميقة وهو يغوص في تلك التراكيب التي تحتويها ويتنقل بين تعبيراته بما تحمله من دلالات زكية ، حتى يمضي سبيله فخراً واعتزازاً ؛ لأنه ينتسب إلى لغة ثرية جميلة متدفقة ، حافلة بالمعاني الدقيقة والبهية واللطائف الفريدة ، ولو كانت تلك المعاني والوظائف مجهولة لدى الجميع لفُقدت تلك المتعة ، ولمات الشعور بذلك الاحساس و لضاع جمال لغتنا ، واندثرت ظواهر لغوية كثيرة كانت شائعة مستعملة ؛ لأننا لا نعرف ما الغاية منها ؟ وما الوظائف المتوخاة باستعمالها ؟

- **تمكُّن الوظيفة النحوية لغة واصطلاحاً .**

اتجهتُ بداية الى معجمات اللغة العربية المشهورة لتأصيل مفردة التمكن لغوياً وبيان مدار استعماله في ميادين التراث العربي، فوجدته يعود إلى مادة(م ك ن) إذ جاء في معجم العين أنَّ لفظ (تمكُّن) مأخوذ من مادة ((مكَّن : المكن ... والواحدة: مَكِنة والمكانُ في أصل تقدير الفعل: مفعل، لأنه موضع للكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعال، فقالوا: مكَّناً له، وقد تمكَّن، وليس بأعجب من تمسَّكن من المسكين)) (الفراهيدي، ١٤٣١، صفحة ج ٤ / ٤٢١) والتمكن أصل من أصول مادة (قرَّ) قال ابن فارس عنه ((وَالْأَصْلُ الْآخَرُ التَّمَكُّنُ ، يُقَالُ قَرَّ وَاسْتَقَرَّ)) (فارس أ.، ١٩٧٩، صفحة ج ٥ / ٧) وقالوا فيه أيضاً : ((مَكُنَ مَكانَةً فَهُوَ مَكِينٌ، وَالْجَمْعُ مُكَناء. وتَمَكَّنَ كَمَكُنَ ... الْفِعْلِ مَفْعَلٌ، لأَنه مَوْضِعٌ لكَيْنونةِ الشَّيْءِ فِيهِ، غَيْرَ أَنه لَمَّا كَثُرَ أَجْرَوْهُ فِي التَّصْرِيفِ مُجْرَى فَعال، فَقَالُوا: مَكْناً لَهُ وَقَدْ تَمَكَّن، وَلَيْسَ هَذَا بأَعْجَب مَنْ تَمَسْكَن مِنَ المَسْكَن ... وتَمَكَّنَ بِالْمَكَانِ وتَمَكَّنَه: عَلَى حَذْفِ الوَسِيط ... قال ابْنُ سِيدَهْ: وتَمَكَّنَ مِنَ الشيءِ واسْتَمْكَنَ ظَفِر)) (منظور، ١٩٩٨). وبمجموع هذه الآراء يمكن القول إنَّ معنى التمكُّن يمتد تحت ظله معنيان الأول ما يدور حول معاني الثبات والرسوخ والاستقرار ، أما الثاني فيحمل في طياته معنى الظفر والقوة في المكان الذي هو فيه (الخطيب، ٢٠٠٩، صفحة ١٦).

أما بدايات استعمال لفظ التمكن كمصطلح فوجدته عند الجرجاني الذي ذكر التمكن قائلا عنه: ((لفظٌ متمكّنٌ أي غيرُ قَلقٍ ولا نابٍ به مَوْضِعُه ، وأَنَّه جيّدُ السبْكِ صحيحُ الطابعِ ، وأنَّه ليس فيه فضْلٌ عن معناهُ" وكقولهم : "إنَّ مِنْ حقّ اللفظِ أنْ يكونَ طِبْقاً للمعنى ، فلا يَزيد عليه ولا يَنقُصُ عنه ... وقولُهم : "متمكّنٌ" أو "قَلِقٌ" وصْفٌ للكلمةِ بأَسرها، لا لحرفٍ منها)) (الجرجاني، دلائل الاعجاز، ١٩٩٢، صفحة ٤٥٦) و قال السيوطي : ((هُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَعْنَى أَقَلَّ مِنَ الْقَدْرِ الْمَعْهُودِ عَادَةً وَسَبَبُ حُسْنِهِ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى التَّمَكُّنِ فِي الْفَصَاحَةِ)) (السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١٩٧٤، صفحة ج ٣ / ١٨١) وبذلك يمكن القول إنَّ التمكُّن استقرار اللفظة في الموضع الذي جاءت فيه استقراراً راسخاً يمنع انتزاعها أو إبدالها بغير لفظة لتوافق دلالتها دلالة ما سبقها وما تلاها من ألفاظ ، حتى يتوُّج الكلام بلفظه أسمى المراتب وأدق المعاني وأبلغ المقاصد ليحدث الأثر الكبير في القلوب والأذهان، والتمكُّن و التسلط في النفوس ، بما يفرح ويحزن وما يذُهل ويبهج، ويؤنس ويقلق ، ويُضحك ويبكي، ، ويسكن ويزعج ، ويشجي ويطرب ، ويهز أوتار الأعطاف فتشخص نحوه الأسماع ، وتميل إليه الأفئدة ، ليجد صاحب الكلام به مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل إلى القلوب دقيقة (الشاطئ، د ت، صفحة ١١٨)

وكذا الحال في مصطلح الوظيفة النحوية للغة يحتم علينا العودة والرجوع الى جذر مادته الأولى لمعرفة المعنى اللغوي لهذا المصطلح ليساعدنا في الوصول الى معناه الاصطلاحي ، جاء في العين أنَّ مادتها ((وظف: والوَظائِفُ جمع الوَظيفة، والوَظيفةُ من كل شيء: ما يُقدم كلَّ يوم من رِزقٍ أو طَعامٍ أو عَلَف أو شراب)) (الفراهيدي، ١٤٣١، صفحة ٨ / ١٦٦)، وأصلها ((الوَاوُ وَالظَّاءُ وَالْفَاءُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ شَيْءٍ. يُقَالُ: وَظَّفْتَ لَهُ، إِذَا قَدَّرْتَ لَهُ كُلَّ حِينٍ شَيْئًا مِنْ رِزْقٍ أَوْ طَعَامٍ. ثُمَّ اسْتُعِيرَ ذَلِكَ فِي عَظْمِ السَّاقِ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ مُقَدَّرٌ، وَهُوَ مَا فَوْقَ الرُّسْغِ مِنْ قَائِمَةِ الدَّابَّةِ إِلَى السَّاقِ. وَيُقَالُ وَظَفْتُ الْبَعِيرَ، إِذَا قَصَرْتَ لَهُ الْقَيْدَ.)) (فارس أ.، ١٩٧٩، صفحة ج ٢ / ١٢٢)، وبهذا يكون معنى الوَظِيفَةُ في كُلِّ شَيْءٍ هو مَا يُقدَّر لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ طَعَامٍ أَو شَراب أو رزق أو علف ، و وَظَفَ الشيءَ عَلَى نَفْسِهِ أَلزمها إِيَّاهُ، ، والوَظِيفُ يكون لِكُلِّ ذِي أَربع دعائم : مكانه مَا فَوْقَ الرُّسْغ إِلَى مَفْصِل السَّاقِ. وَقَالَ ابْنُ الأَعرابي: الوَظِيفُ يبدأ مِنْ رُسْغَي الْبَعِيرِ إِلَى أن يصل رُكْبَتَيْهِ هذا فِي يَدَيْهِ ، وَالْجَمْعُ لكل ذلك وُظُف و أَوْظِفَة (منظور، لسان العرب، ١٤١٤، الصفحات ج ٩ / ٣٥٧ – ٣٥٨). وبذلك يكون معناه اللغوي ما يقدم للشيء في كل يوم من خدمة .

أما اصطلاحاً : فلم أجد في كتب المتقدمين من يحد حدَّاً لمصطلح الوظيفة النحوية بالمعنى الدقيق ، وأظنهم استعملوا هذا المصطلح تحت مسمى معاني النحو ، إذ إنَّ المصطلحين يقومان على ذات المدلول ، إذ وجدت له اشارات عرضية في كتاب سيبويه في معرض كلامه في الكتاب وهو يتكلم عن التراكيب وعن

أنواع الكلام وتقسيماته الى مستقيم حسن مثاله (أتيتك أمس)، ومحال تصوره (أتيتك غداً) ، ومستقيم كذب لا يصدقه العقل وإن وافق القاعدة النحوية مثاله (حملتُ الجبلَ) ، ومستقيم قبيح أي أن تضع اللفظ في عير موضعه نحو (قد زيداً رأيتُ)، وما هو محال كذب وهو ما خالف القاعدة النحوية والمنطق العقلي السليم نحو (سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمس)) (سيبويه ع.، ١٩٨٨، صفحة ج ١ / ٢٥) ، والوظيفة النحوية لديه الغايات والمعاني التي تحملها تلك التراكيب التي وافقت القاعد النحوية المعروفة في اللغة وبما تضمنه تلك التراكيب من فاعلية ومفعولية ومبتدأ وخبر وغيرها ، أما الجرجاني فذهب الى أن الإعراب هو طريق بلوغ وظائف ومعاني عناصر التركيب النحوي فقال : ((إنَّ الألفاظ مغلقةٌ على معانيها، حتى يكون الإعرابُ هو الذي يَفتحها، وأنَّ الأغراضَ كامنة فيها حتى يكونَ هو المستخرِجَ لها)) (الجرجاني، دلائل الاعجاز في المعاني، ٢٠٠١، صفحة ٢٨).

مؤكداً وجوب معرفة الإنسان أن لا قيمة للألفاظ مجردة من معاني النحو ، ((فلا يقومُ في وهْمٍ ولا يصِحُّ في عقْلٍ، أنْ يتَفَكَّرَ مُتفكِّرٌ في معنى "فعلٍ" مِنْ غيرِ أن يُريدَ إعمالَه في "اسْمٍ"، ولا أن يتفكَّر في معنى "اسْم" من غَيْرِ أنْ يُريدَ إعمال "فعلٍ" فيه، وجَعْلَه فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريدَ فيه حكْماً سوى ذلك من الأحكام ، مثْلَ أن يُريدَ جَعْلَه مبتدأً، أو خبراً، أو صفةً أو حالاً، أو ما شَاكَلَ ذلك)) (الجرجاني، دلالئل الاعجاز، ١٩٩٢، صفحة ج١ / ٤١٠) أما السيوطي فذهب الى ما ذهب إليه من سبقه أن وظائف عناصر التراكيب (النظم) تتحدد بالحركة الإعرابية قائلا : ((إنَّ الْكَلَام عِنْد التَّرْكِيب لابد أَن يعرض فِيهِ لبس فحكمته تَقْتَضِي أَن يضع الْإِعْرَاب مُقَارنًا للْكَلَام وَهُوَ أصل فِي الْأَسْمَاء ... و مَذْهَب الْبَصرِيين أَن الْإِعْرَاب أصل فِي الْأَسْمَاء فرع فِي الْأَفْعَال لِأَن الِاسْم يقبل بِصِيغَة وَاحِدَة مَعَاني مُخْتَلفَة وَهِي الفاعلية والمفعولية وَالْإِضَافَة فلولا الْإِعْرَاب مَا علمت هَذِه الْمعَانِي من الصِّيغَة وَذَلِكَ نَحْو مَا أحسن زيدا بِالنّصب فِي التَّعَجُّب وبالرفع فِي النَّفْي وبالجر فِي الِاسْتِفْهَام فلولا الْإِعْرَاب لوقع اللّبْس بِخِلَاف الْفِعْل فَإِن الإلباس فِيهِ لَا يعرض لاخْتِلَاف صيغه باخْتلَاف الْمعَانِي وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ إِنَّه أصل فيهمَا لِأَن اللّبْس الَّذِي أوجب الْإِعْرَاب فِي الْأَسْمَاء مَوْجُود فِي الْأَفْعَال فِي بعض الْمَوَاضِع نَحْو لَا تَأْكُل السّمك وتشرب اللَّبن بِالنّصب نهي عَن الْجمع بَينهمَا وبالجزم نهي عَنْهُمَا مُطلقًا وبالرفع نهي عَن الأول وَإِبَاحَة الثَّانِي)) (السيوطي، همع الهوامع، الصفحات ٦٢ – ٦٣). قال الراغب : ينقسم الكلام الى قسمين : مفردُ ومركبُ، فأما الكلام المفرد وهو إجزاء الكلام وسُمي بالاصطلاح الاسم والفعل والحرف ، وأما الكلام المُركب فيكون مُخْبِراً عنه بالإسناد و الملقب بالاسم، وإما أن يكون خبراً يُخبر به وهو ما يُسمى بالفعل، وإما أن يكون رابطاً بين الاثنين يتم به الفائدة وهو الملقب بالحرف، والقسمة لا تقتضي غير هذا التقسيم (الاصفهاني أ.، ١٩٩٩، صفحة ج ١ / ١٠).

أما المحدثون فقد تجاوزت لديهم الوظيفة النحوية ظاهرة الإعراب وتعدت إلى أدوات أخرى يمكن من خلالها بلوغ تلك الغايات ، إذ من الممكن الخروج على الأحكام النحوية المتعارف عليها من باب التفنن في صياغة التراكيب للوصول الى أعمق دلالة ممكنة باستعمال عناصر تلك التراكيب في غير ما وضعت له في أصل اللغة وخاصة في الأدوات التي لا تظهر عليها الحركات الإعرابية (المبنيات) ليبلغ التركيب أسمى درجات البلاغة والبيان والذي لا يتأتى لأي إنسان إدراكه لأنه يحتاج الى تأمل ونظر (بوفتاح، ٢٠١٣، صفحة ٧). وهنا ارتبطت الوظيفة النحوية بما تم استُعْمِلَ من عناصر وصور داخل التركيب ، فقد عرَّف الدكتور فاضل الساقي الوظيفة بأنها : ((المعنى المُحصَّل من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجمل المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي)) (الساقي، ١٩٧٧ م، صفحة ٢٠٣).

وبذلك فإن وظائف التراكيب تنقسم الى وظائف صرفية ووظائف نحوية فأما الوظائف الصرفية فترتبط بالأفعال ما يتعلق بها أما الوظائف النحوية فقد قسمها العلماء إلى وظائف نحوية عامة ووظائف خاصة فأما الوظائف العامة فهي معاني وأغراض الجمل والتراكيب بما تتضمنه من أساليب نحوية نُسجت عليه تلك التراكيب ومن هذه الوظائف الخبر والانشاء والاثبات والنفي والتأكيد والطلب من استفهام وأمر ونهي وعرض وتمني وتحضيض والترجي والنداء ويقع تحت ظلاله أيضا ما يتوصل بالإفصاح به الى غرضي المدح والذم والتعجب سواءً أتمت تلك التراكيب من غير استعمال أدوات خاصة بذلك كما في الجمل المثبتة وجمل الأمر بالصيغة أما بما يحتاج الى أدوات منها الجمل المنفية والتعجب والاستفهام وغيرها ، وهذه الوظائف لا يتوصل إليها من خلال الحركات الاعرابية فحسب بل من خلال علاقات نحوية أخرى ذكرها تمام حسان كالإسناد والتبعية والتخصيص وغيرها ، أما الوظائف النحوية الخاصة فهي معاني الأبواب النحوية التي ذكرها علماء النحو فباب الفاعل يدل على وظيفة الفاعلية والمفعول يدل على وظيفة المفعولية أي على ما وقع عليه الفعل والتمييز ما دل على وظيفة التفسير وغيرها من الأبواب ، وهكذا نجد أنَّ كل كلمة نُسجت داخل التركيب النحوي تؤدي وظيفة الباب الذي جاءت فيه ومن الممكن أن تؤدي الكلمة الواحدة داخل التركيب وظيفتين معا في وقت واحد وظيفة صرفية ووظيفة نحوية كالصفة التي تكون فاعلا فالصفة تدل على الحدث وهي وظيفة صرفية وتدل على الفاعلية وهي وظيفة نحوية خاصة (الساقي، ١٩٧٧ م، الصفحات ٢٠٤ – ٢٠٩).

وبقي أن نبين أن ما لا يوافق الإعراب (ما بُني للشبه المعنوي) وهي المبنيات والتي تعد جزءاً من عناصر التركيب النحوي لكنها لا ترتبط بأي مشتق وليس لها صيغة معينة اشتقت منه ولا يُشتق منها ، لتكون الأدوات يقع تحت ظلالها أدوات معاني الجمل الاستفهام والشرط والاشارة والجر والقسم والعطف والتي تقدم وظائف نحوية خاصة بجانب دلالتها على الوظائف النحوية العامة التي وضعها النحاة ، لكن هذه

الوظائف الخاصة لا تتأتى إلا من خلال السياق الذي وردت فيه والتركيب (الساقي، ١٩٧٧ م، صفحة ٢٠٦)، مثاله حروف الجر وظيفتها العامة تفيد الجر لكنها في السياق قد تفيد الظرفية نحو (الطالبُ في المدرسةِ) أو قد تفيد التملك نحو (الكتابُ لزيدٍ) وهكذا مع بقية الأدوات .

وبذلك يمكن القول إنَّ الوظيفة النحوية هي الدور أو المعاني أو الأغراض المتأتية من استعمال كلمة ما (اسم ، فعل ، حرف) داخل مستوى الجملة بما يوافق الإعراب الذي هو ضد البناء وَالْفرق بَينهمَا أنَّ زَوَال الْإِعْرَاب يكون حسب تغير الْعَامِل أما البناء فيلازم حركته على الثبات مهما تغير عامله ويقصد به الابانة عن المعاني من خلال الحركات الاعرابية ، و الْإِعْرَاب أَرْبَعَة أضْرب الرفع وَالنصب والجر وَالجزم فالرفع وَالنّصب يشْتَرك فيهمَا الِاسْم وَالْفِعْل وأما الجر فيخْتَص بالأسماء دون الْأَفْعَال وأما الجزم فخاص بالأفعال دون الْأَسْمَاء (جني، ١٤٣١، صفحة ١٠) ، , وأجمع جلُّ علماء النحو على ثلاثة وظائف أساسية يقدمها التركيب أولها وظيفة المعنى العام المفيد فائدة يحسن السكوت عليه وهو معنى التركيب بشكله النهائي وثانيها وظيفة الكلمة المفردة داخل الجملة بما تحمله من دلالة معجمية نسجت خيوط المعنى الذي تؤديه داخل التركيب فكانت نقطة انطلاق وظيفة الكلمة النحوية منه بما تحتويه من حروق بصفاتها والبناء الذي جاءت عليه والموقع الذي انتظمت به لتوافق بذلك بين دلالتها المعجمية ودلالة السياق التي وردت فيه ، وأخيرها وظيفة أدوات الشبه المعنوي التي تؤديها الحروف ، ليكون جميع معاني التراكيب وظائف تؤديها تلك العناصر من معاني كالاستقبال والتنبيه والاثبات والنفي والتوكيد والاستفهام وغيرها كل أولئك معان وظيفية تؤديها تلك التراكيب ، ولا يستدل عليها إلا من خلال عناصر الكلام تبعا للقواعد والعلاقات والقرائن النحوية اللفظية كالبنية الصرفية والاعراب والربط والرتبة والتضام والسياق أو قرائن معنوية كالإسناد في المبتدأ والخبر والفعل والفاعل والتعدي في الأفعال والملابسة في الحال والاخراج في الاستثناء وغيرها المنظمة لأجزاء الكلام داخل التركيب النحوي الذي يسعى منتج النص بلوغها وقت إنتاج النص (حسان، ١٩٩٣ م ، الصفحات ٥ – ١٣)، وبالتالي يتم من خلالها تحديد الوظائف النحوية لعناصر التشكيل التركيبي في إدارة الجملة والمعنى بما يوافق الغايات ، وهذه الوظائف تنقسم الى وظائف نحوية عامة و وظائف نحوية خاصة لا تتحد بالإعراب فحسب وإن كانت أبرزها ، بل تتظافر معها قرائن أخرى من اسناد وتخصيص وتبعية وتعليق وغيرها و التي تنظم أجزاء الجملة والتي من خلالها تساهم في توجيه معاني تلك الألفاظ الي الوجهة التي أرادها منتج النص ، كما لا يخفى علينا دور القراءات القرآنية في توجيه معاني بعض مفردات القرآن الكريم ولا يمكن تغافله لا سيما ما يتعلق بطريقة نطق الحركات الإعرابية لتلك المفردات سواء أكانت بالرفع الى النصب أو الجر أو بالعكس ليتغير معها الباب الذي التي تنتمي إليه

ووظيفة تلك الجمل والتي من شأنها أن تساهم بالتوسع في معاني المفردة القرآنية الواحدة بما يوافق السياق القرآني والمناسبة التي نزلت بها الآية القرآنية .

المبحث الثاني ، تمكُّن الوظائف النحوية في سورة آل عمران .

أولا . تمكُّن الوظائف في الاسماء .

المسألة الأولى . تمكن الاسم الموصول (ما) في آل عمران بدلاً عن (من) ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩ ﴾ آل عمران: ١٠٩ ، والشاهد هنا تمكُّن الاسم الموصول (ما) ولم يقل (من) ونص التمكن فيه ما قاله ابن عطية : ((قال: ما ولم يقل «من» من حيث هي جمل وأجناس)) (عطية ع.، ١٤٣٢، صفحة ج ١ / ٤٨٨)، و(ما) و (من) كلاهما اسم موصول لكن دلاتهما تختلفان من حيث الارتباط والاجناس لتختلف بذلك وظائفهما النحوية حسب نوع الاسم الموصول المستعمل كعنصر في التركيب النحوي ، و قال سيبويه انهما اسمان مبهمان (("ومن: وهي للمسألة عن الأناسيّ ويكون بها الجزاء للأناسي، وتكون بمنزلة الذي للأناسي. و (ما) مثلها إلا أن (ما) مبهمة تقع على كل شيءٍ)) (سيبويه، ١٩٨٨، صفحة ج ٤ / ٢٢٦). و((معنى الموصول أن لا يتم بنفسه، ويفتقِر إلى كلام بعده، تصلُه به ليَتِم اسمًا، فإذا تَم بما بعده، كان حكمُه حكمَ سائر الأسماء التامّة، يجوز أن يقع فاعلًا، ومفعولاً، ومضافًا إليه، ومبتدأ، وخبرًا)) (الزمخشري، ٢٠٠١، صفحة ج ٢ / ٣٧١) أي أنَّ ((الاسم الموصول ما يَدلُّ على مُعَينٍ بواسطة جملة تُذكر بعده ، وتُسمّى هذه الجملةُ صِلةَ الموصول ، والأسماءُ الموصولةُ قسمان خاصة ومشتركة ، الأسماءُ الموصولةُ الخاصةُ، هي التي تُفرَدُ وتُثنَّى وتُجمَعُ وتُذكّرُ وتُؤنَّثُ، حسبَ مقتضي الكلام. وهي (الذي) للمفردْ المذكر، (واللَّذان واللّذَينِ) للمثنى المذكر و (الّذينَ) للجمع المذكر العاقل... والأسماء الموصولةُ المُشتركةُ هي التي تكونُ بلفظٍ واحدٍ للجميع. فيشترك فيها المفردُ والمثنى والجمعُ والمذكرُ والمؤنثُ. وهي "مَنْ وما وذا وأيٌّ وذُو" غيرَ أنَّ "مَنْ" للعاقل و"ما" لغيره)) (الغلاييني، ١٩٩٣ م ، الصفحات ج ١ / ١٢٩ – ١٣٠)

أما من حيث دلالة كل منهما ، فـ (من) تختص بالعاقل أو للعلم سواء أكانت موصولة ، أم استفهامية، أم شرطية، أم غير ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ ﴾ يوسف: ٧٩ ، ولا تقع (من) على غير العاقل إلا في مواضع كأن ينزل غير العاقل منزلة العاقل، نحو قوله تعالى ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف: ٥ فعبَّر عن الأصنام بـ (من) لتنزيلها منزلة العاقل لأنهم عبدوها ، أو أن يجتمع غير العاقل مع العاقل في عموم , وأما (ما) الموصولة فتقع عل كل ذات لا تعقل

مثاله (أكلُ ما تأكلُ) وعلى جميع صفات من يعقل ومثاله (أعجبني ما قدمتُه لي) وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ ﴾ طه: ٦٩ إذ كانت العصا في يمينه وهي ذات غير عاقلة ، و ما صنعوه أفاعيهم المتخيلة فجاءت (ما) للدلالة ذاتها ، أما دلالتها على صفات العاقل قوله تعالى ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ النساء: ٣ والشاهد (ما طاب لكم من النساء) أي انكحوا الطيب منهن، وقوله تعالى :﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ ﴾ الكافرون: ٥ أي ولا انتم عابدون معبودي (السامرائي، ٢٠٠٠، صفحة ج١ / ١٣٠).

وبذلك ((فالفرق بين ما، ومن، أنَّ (من) مختصة بالعقلاء، ولا تنفرد لغير العقلاء، إلا على سبيل تنزيله منزلة العاقل، وأما (ما) فهي تقع لذوات ما لا يعقل، ولصفات العقلاء)) (السامرائي، ٢٠٠٠، صفحة ج ١ / ١٣٠)، لكن ما أكثر استعمالها كونها تدل على العموم وتستعمل فيه وهو ما ذكره سيبويه فقال :((إلا أن (ما) مبهمة تقع على كل شيء)) (سيبويه، ١٩٨٨، صفحة ج ٤ / ٢٢٦)، وبالنتيجة تكون وظيفتها النحوية أكثر عموماً وشمولاً في توجه دلالة النص الذي تأتي فيه ، وهذا ما سنوضحه في هذه الآية . قال ابن عطية إنَّ تفسير قوله تعالى (وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ) أنَّ لله كل الخلائق والمخلوقات في الأرض وفي السماوات ، لا سيما أنه خالق كل شيء ومالكه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩ ﴾ آل عمران: ١٨٩ ، واستعمل سبحانه وتعالى (ما) التي تدل على غير العاقل وما نزل في موقع غير العاقل باعتبار أنهم موجودات فلم يقل «من» لتعطي وظيفة نحوية دالة على عمومية الملكية والأجناس له وحده لا غير ، وجيء بالاسم الظاهر في (وَإِلَى اللَّهِ) ولم يقل (و إليه ترجع الأمور) إرادة في تفخيم الكلام وبياناً لعظمته سبحانه تعالى والتنبيه على عظم المعنى في التركيب . إذ الكلام فيه إظهار اسم (الله) مرتين ولا يكون الاظهار إلا في المعاني الفخمة الكامنة في النفوس رغم أنها من الجمل التي يؤمن فيها اللبس على السامع فيصح فيها الإضمار (عطية أ.، ١٤٢٢ هـ، صفحة ج ٤ / ٤٨٨)

أما الرازي فقال ((إِنَّمَا قَالَ: مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَقُلْ (مَنْ) لِأَنَّ الْمُرَادَ الْإِشَارَةُ إِلَى الْحَقَائِقِ وَالْمَاهِيَّاتِ، فَدَخَلَ فِيهِ الْكُلُّ)) (الرازي، مفتاح الغيب؛ لرازي، ١٤٢٠). قال ابن عرفة في حق هذه الآية إنَّ من باب تأكيد الحكم مقرونا بعلته أنه عندما ثَبَتَ ملك كل شيء لله ملكاً حقيقياً ،أي وحده القادر على إعدامه مطلقاً والقادر على إعادته (عرفة، ٢٠٠٨).

لذلك يمكن القول إن استعمال (ما) في هذا الموضع جاء للدلالة على العموم والشمول التي لا نجدها في استعمال الاسم الموصول (من) لأن (((ما) واقعة على أنواع من يعقل، وعلى ما لا يعقل ، أو غُلِّب ما لا يعقل عليه لكثرته)) (البسيلي، ١٤٣٣، صفحة ٤١٠)أي أنَّ ((إيراد كلمةِ مَا إما لتغليب غيرِ العقلاءِ على العقلاءِ وإما لتنزيلهم منزلةَ غيرِهم إظهاراً لحقارتهم في مقام بيانِ عظمتِه تعالى)) (السعود، ١٤٣١، صفحة ج ٢ / ٨٤)

المسألة الثانية . تمكن اسم الاشارة (هذا) عن (هذه) و(أولئك) في النص القرآني ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ – ١٩١ ، ونص تمكُّن اسم الاشارة قال أبو جعفر الطبري :«قال:"ما خلقت هذا باطلا" ولم يقل: ما خلقت هذه، ولا هؤلاء"، لأنه أراد بـ"هذا"، الخلقَ الذي في السموات والأرض » (الطبري، ٢٠٠١، صفحة ج ٧ / ٤٧٦) و (هذا) من اسماء الاشارة ، و ((يقال لهذه الأسماء: مبهماتٌ؛ لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء، فتُلْبِس على المخاطب، فلم يدر إلى أيها تشير، فكانت مبهمة لذلك. ولذلك، لزمها البيانُ بالصفة عند الإلباس ، ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحةٍ أو ما يقوم مقامَ الجارحة، فيتعرفُ بذلك، فتعريفُ الإشارة أن تخصِّص للمخاطب شخصًا يعرفه بحاسَّةِ البَصَرِ، وسائرِ المعارف هو أن تختصّ شخصًا يعرفه المخاطبُ بقلبه، فلذلك قال النحويون: إن أسماء الإشارة تتعرّف بشيئَيْن: بالعين وبالقلب)) (يعيش، ١٩٨٧ م ، صفحة ج ٢ / ٣٥٢) ، أما ((ذه وتلك: ويشار إلى المؤنث القريب بذي، وذه، وتي، وتا، وتلحقها ها التنبيه كثيرًا، فيقال: هذي وهذه وهاتي وهاتا قال تعالى: {هذه ناقة الله لكم آية} [الأعراف: ٧٣])) (السامرائي، ٢٠٠٠، صفحة ج ١ / ٩١)وبهذا البيان ندرك أن اسم الاشارة (هذا) يأتي بوظيفة الاشارة الى الأمور القريبة الذي يدركه العين والقلب ، أما (هذه) فخاص للمؤنث القريب ، أما (هؤلاء) خاص بالجمع . قال الطبري في تأول وتفسير الآية : (مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا) يعني بذلك الذين يذكرونه ويتفكرون في خلقه للسموات والأرض قائلين :"ربنا ما خلقت هذا عبثاً ولا لعباً "،فلم يذكر سبحانه وتعالى "القائلين ، واكتفى أنَّ ما ظهر من التركيب دلالة عليه . ولم يخلقه الله إلا لأمر عظيم من بيان قدرته وأن هذا الخلق حساب وجزاء وثواب وعقاب وقال:"ما خلقت هذا باطلا" ولم يقل (ما خلقت هذه)، ولم يقل (ما خلقت هؤلاء) "، لأنه أراد بـ"هذا" دلالة على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض. و يدل على هذا الرأي قوله :"سبحانك فقنا عذاب النار"، أي رغبتهم إلى بارئهم بأن يقيهم عذاب الجحيم . ولو كان المعنيّ بقوله:"ما خلقت هذا باطلا"،

قصد بذلك السموات والأرض ، لما كان لقوله بعدها :"فقنا عذاب النار"، معنى مفهوم ؛ لأن "السموات والأرض" أدلة على قوة الخالق لتزيد المؤمنين ايماناً وتمسكاً بدين الله (الطبري، ٢٠٠١، صفحة ج ٧ / ٤٧٦) .

وإنما كان التفكر في قوة الله من عمل القلب ، يتفكرون بمعنى قائلين ، (ما خلقت هذا باطلا) ما خلقت خلقك عبثا من غير حكمة، بل لحكمة عظيمة ، وهي أن تجعلها دار امتحان ومساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ومعرفة عظمتك وقدرتك وبراهين بوجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك اتصل دعاؤهم به في قولهم (فَقِنا عَذابَ النَّارِ) وهو جزاء من عصى ولم يطع.

أما ما سبب استعمال اسم الاشارة ؟ وإلى ماذا يشير ؟ وما هي وظيفته ؟ قلت : إلى الخلق الذي يُراد به كل مخلوق ، أي يتفكرون فيما مخلوق في السموات والأرض، أي بما خُلق منها. وقد يكون إشارة إلى السموات والأرض وخلقهن. كأنه قال: ما خلقت هذا المخلوق الكبير العجيب عبثاً . وفيه ضرب من التعظيم كقوله : (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) وسبحانك: اعتراض لتنزيه الخالق من أن يكون خلق لهذه الآيات عبثاً، وأن يخلق شيئاً من غير حكمة مبتغاة (الزمخشري م.، ١٤٠٧، صفحة ج ١ / ٤٥٤) .

قال الرازي وفي الآية مجموعة مسائل لابد لنا من الوقوف عليها منها : أَنَّ الله سبحانه وتعالى أمر بِالتَّفَكُّرِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ التي خلقها ، فَلِهَذِهِ الدَّقِيقَةِ ارتبطت هَذِهِ الْآيَاتِ بِذِكْرِهِ ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْفِكْر في خلقه العجيب لَمْ يَأْمُرْ بِالتَّفَكُّرِ فِيهِ، بَلْ أَمَرَ بِالْفِكْرِ فِي هذا الخلق ، والامر الثاني أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أدراك حَقِيقَتِهِ الْمَخْصُوصَةِ ومعرفته إِنَّمَا يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ من خلال أفعاله وَآثَارِهِ الظاهرة للعيان ، فَكُلَّمَا كَانَتْ أَفْعَالُهُ عظيمة بأَشْرَفَ وَأَعْلَى دقة كانت كَانَ وُقُوفُ الْعَقْلِ عَلَى كَمَالِ فَاعِلِها أَكْمَلَ، وَلِذَلِكَ فإِنَّ الانسان الْعَامِّيَّ يَعْظُمُ اعْتِقَادُهُ فِي الْقُرْآنِ وَلَكِنَّ اعتقاده سيكون تَقْلِيدِيًّا إِجْمَالِيًّا ، أَمَّا الْمُفَسِّرُ الْمُحَقِّقُ الَّذِي لَا يَزَالُ يَتطَّلِعُ فِي كُلِّ مفردة في كتابه الحكيم المتدبر آيَاته سيكتشف بذلك أَسْرَارٍ عَجِيبَةٍ، وَدَقَائِقَ لَطِيفَةٍ ، وبهذا يَكُونُ اعْتِقَادُهُ فِي عَظَمَةِ الْقُرْآنِ أَكْمَلَ على أتم وجه من منطلق الادراك الحقيقي له ، أما استعمال اسم الاشارة (هَذَا) فِي قَوْلِهِ: مَا خَلَقْتَ هَذَا هو اشارة عن الْمَخْلُوقِ، أي يَعْنِي مَا خَلَقْتَ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْعَجِيبَ بَاطِلًا، وَاستعمال كَلِمَةِ هَذَا هو ضَرْبٌ مِنَ ضروب التَّعْظِيمِ (الرازي، مفتاح الغيب، صفحة ج ٩ / ٤٦٢).

وذكر أبو حيان الأندلسي في تفسير هذه الآية ما ذهب إليه من سبقه من المفسرين لا نريد إعادته فنثقل بها دراستنا سوى أن نبين دقيقة لطيفة ذكرها في تفسيره البحر المحيط قائلا فيها : ((وَانْظُرْ إِلَى حُسْنِ مُحَاوَرَةِ هَؤُلَاءِ الذَّاكِرِينَ الْمُتَفَكِّرِينَ، فَإِنَّهُمْ خَاطَبُوا اللَّهَ تَعَالَى بِلَفْظَةِ رَبَّنَا، وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ رَبُّهُمْ أَصْلَحَهُمْ وَهَيَّأَهُمْ لِلْعِبَادَةِ، فَأَخْبَرُوا أَوَّلًا بِنَتِيجَةِ الْفِكْرِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: رَبَّنا ما خَلَقْتَ هَذَا باطِلًا ، ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَقِيَهُمُ النَّارَ بَعْدَ تَنْزِيهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ. وَأَخْبَرُوا عَنْ حَالِ مَنْ يَدْخُلِ النَّارَ وَهُمُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، وَلَا يتفكرون فِي

مَصْنُوعَاتِهِ. ثُمَّ ذَكَرُوا أَيْضًا مَا أَنْتَجَ لَهُمُ الْفِكْرُ مِنْ إِجَابَةِ الدَّاعِي إِلَى الْإِيمَانِ، إِذْ ذَاكَ مُتَرَتِّبٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى مَا خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ الْعَجِيبَ بَاطِلًا.)) (الأندلسي أ.، صفحة ج ٣ / ٤٧٦).

وبذلك فإنَّ كل ما خلقه الله فيه من الحكم البالغة والأسرار العظيمة ، لربما أدركنا بعضها وبعضها لم نجد الى معرفتها سبيلا ، فباستعمال الاشارة بـ (هذا) في قوله تعالى: ((رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا)) فكلمة: (هذا) جاء بوظيفته متضمنة ضرباً من التفخيم و التعظيم لهذا المخلوق البديع المتقن دقائقه الرائعة سماته ، ولهذا قال (هذا) الدالة على قرب المشار إليه وهو الخلق الذي يحيط بنا وحضوره وادراكه بالعين وبالقلب ، ولهذا لم يستعمل (هذه) ولم يقل (هؤلاء) لأنها لا تتضمن هذه الدلالة ، فما خُلق هذا المخلوق عظيم الشأن عبثاً عارياً عن الحكمة بل منتظماً بحِكَمٍ جليلة ومصالح عظيمة، منها أن يكون هذا الاتقان في مخلوقاته دلالة على عظمته وقوته قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨ ، وهو ما يوجب معرفتنا به ، ووجوب طاعته، واجتناب معصيته، وأن يكون المعرفة به مداراً يلازم العباد، ومناراً وضياءً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والحياة والمعاد ، والله تعالى أعلم .

ثانياً . تمكُّن الوظائف النحوية في الأفعال . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ آل عمران: ٢٨ . والشاهد فيه جزم الفعل المضارع بالسكون (يتخذ) جاء في المقاييس ((الْهَمْزَةُ وَالْخَاءُ وَالذَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ تَتَفَرَّعُ مِنْهُ فُرُوعٌ مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَعْنَى. مَّا أَخَذَ فَالْأَصْلُ حَوْزُ الشَّيْءِ وَجَبْيُهُ وَجَمْعُهُ. تَقُولُ أَخَذْتُ الشَّيْءَ آخُذُهُ أَخْذًا. قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ خِلَافُ الْعَطَاءِ، وَهُوَ التَّنَاوُلُ)) (فارس أ.، ١٩٧٩، صفحة ج ١ / ٦٨)، ونص التمكُّن ما قاله الفراء إذ قال ((وفي قوله: (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ) نهي ، ويجزم فِي ذلك. ولو رُفع على الخبر ، كما قرأ من قرأ: لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها)) (الفراء، ١٤٣١، صفحة ج ١ / ٢٠٥) قال الزجاج : ((القراءة بالجزم، وكسر الذال لالتقاءِ السَّاكنين، ولو رفعت لكان وجهاً فقلت: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ المعنى: أنه من كان مؤمناً فلا ينبغي أن يتخذ الكافر ولياً لأنَّ ولي الكافر راض بكفره، فهو كافر. قال الله عزّ وجلَّ : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) . وقال: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) ومعنى: (مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) أي لا يجعل ولاية لمن هو غير مؤمن، أي لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان كما تقول زيد دونك فلست تريد أنه في موضع مستقل وأنك في موضع مرتفع، ولكنك جعلتَ الشرفَ بمنزلةِ الارتفاعِ في المكان، وجعلت الخِسَّة كالاستقبال في المكان. فالمعنى: أن المكان المرتفع في الولاية مكان المؤمنين. فهذا بيان قوله: (مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) .ومعنى: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيءٍ.(أي من

يَتَول غيرَ المؤمنين فاللَّهُ بَرِيءٌ منه. (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً))) (الزجاج، الصفحات ج ١ / ٣٩٥ – ٣٩٦)، قال النحاس جاء الفعل (يتخذ) جزماً على السكون وكسرت الذّال هنا لالتقاء الساكنين سكون الذال وال التعريف (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ) ، وقال الكسائي: ويجوز في الفعل الرفع على غرض الخبر مما كان من المؤمنين من عدم اتخاذهم الكفار أولياء وفيه توجيه للمؤمنين أن يفعلوا ذلك (النحاس، ١٤٢١، صفحة ج ١ / ١٥١). وهو ما فسره النيسابوري وأكده ذاهبا بذلك الى مذهب الفراء والزجاج بالجزم أنه نهى سبحانه وتعالى المؤمنين اتخاذ الكافرين أنصاراً وعوناً يوالونهم ويلاطفونهم بالمحبَّةِ والقُرْبَةِ من غير المؤمنين لأن وَلِيَّ الكافرِ راضٍ بِكُفْرِهِ ولذلك فهو كافر (الواحدي، ١٤٣٠ هـ، صفحة ج ٥ / ١٦٧).

قال الأندلسي إِنَّ الآية نَزَلَتْ فِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، كَانَ لديه حُلَفَاءُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتنصر بِهِمْ عَلَى الْعَدُوِّ. وَقِيلَ: فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ كانوا يَتَوَالَوْنَ الْيَهُودَ. وَقِيلَ: فِي قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَهُمُ: الْحَجَّاجُ بْنُ عُمَرَ، وَكَهْمَسُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَقَيْسُ بْنُ يَزِيدَ، ، وَغَيْرِهِم كَانُوا يُظْهِرُونَ الْمَوَدَّةَ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَنَزَلَتْ هذه الآية واتخاذهم أولياء : أي مناصرتهم وملاطفتهم فِي الْمُعَاشَرَةِ، سواء لِقَرَابَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ. كانت قَبْلَ الْإِسْلَامِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَنا نُهُوا عَنْ القيام بذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ يَتَّخِذَ الموالاة بِقَلْبِهِ وَنِيَّتِهِ وهذا ما لَا يَفْعَلُه مُؤْمِنٌ ولا يقبله رسوله الأمين ، والنهي عَامٌّ فِي جَمِيعِ العصور غير مختص بزمن معين ، وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الاخبار والنهي عن الموالاة فِي الْقُرْآنِ. ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فمحبة الله والايمان بالله أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ. لذلك قَرَأَ الْجُمْهُورُ: لَا يَتَّخِذِ بالجزم الغرض منه النَّهْيِ. وَقَرَأَ الضَّبِّيُّ بِرَفْعِ الذَّالِ والغرض منه النَّفْيِ والاخبار عنه ليتحقق الْمُرَادُ بِهِ وهو النَّهْيُ، وَقَدْ أَجَازَ الْكِسَائِيُّ الرَّفْعَ كَقِرَاءَةِ الضَّبِّيِّ وَمُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنْ على الْمُؤْمِنُ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا لنيل رضاه وبلوغ جنته ، علاوة على ذلك يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حسن الْخَلْقِ، مع من أمر بهم الله ورسوله وموالاة المؤمنين والامتناع عَنْ موالاة الكفار ومناصرتهم و الْآيَةِ تَقْتَضِي النَّهْيَ عَنْ مُوَالَاتِهِمْ إِلَّا مَا فَسَحَ الله لَنَا فِيهِ مِنَ اتِّخَاذِهِمْ عَبِيدًا، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِمُ اسْتِعَانَةَ الْعَزِيزِ بِالذَّلِيلِ، وَالْأَرْفَعِ بِالْأَوْضَعِ، وَالنِّكَاحِ فِيهِمْ. فَهَذَا كُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ الْمُوَالَاةِ أَذِنَ لَنَا الله فِيهِ، وَلَسْنَا مَمْنُوعِينَ مِنْهُ، فَالنَّهْيُ لَيْسَ عَلَى عُمُومِهِ. لكن بقدر تحقق الفائدة وبالحدود التي حددها سبحانه للْمُؤْمِنِينَ (الأندلسي أ.، ١٤٢٠، صفحة ج ٢ / ٩١) .

وبذلك سواء أكان حركة الفعل (يتخذ) المجزوم بلا الناهية لغرض نهي المؤمنين اتخاذ الكافرين ظهيراً ونصيراً أو كانت حركة الفعل بالرفع بغرض الإخبار على التقدير أن صفات المؤمنين أنهم لا يتخذون الكافرين أعواناً وأنصاراً من غير أصحابهم من المؤمنين وعلى أصحاب رسول الله من المؤمنين الإلتزام بذلك

وعدم موالاتهم لما في ذلك من خطر عليهم وتهديداً مباشراً ضد الإسلام وجوهر دعوته ذلك لأنهم يظهرون شيئاً ويضمرون في أنفسهم أشياءً عكس ما أبدوه للمؤمنين ومن يفعل ذلك فلا ينتمي لعباد الله .

ثالثاً . تمكن الوظائف النحوية في الحروف .

١ . **تمكُّن وظائف حروف الجر** إنَّ حروف الجر لها معان خاصة بها تؤدي وظائفها ضمن السياق الذي جاءت فيه وقد رأى الدكتور فاضل السامرائي ألا تؤدي حروف الجر معاني حروف جر أخرى من باب الإحلال مكانها لكن هذا الرأي ليس مطلقا إذ لا يمكن غلق باب النيابة والتضمين والتعاقب في اللغة لأنها ظواهر ثابتة في اللغة وفي الكلام البشري خاصة وهي حقيقة ثابتة لا يمكن رفضها أو ردها بالكامل (ياس، ٢٠٢١، صفحة ١٠٤) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ آل عمران: ٢٥ ، والشاهد في الآية استعمال حرف الجر (اللام) في لفظة (ليوم) في قوله تعالى (فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) ولم يقل (فكيف إذا جمعناهم في يوم لا ريب فيه) و إنما جاء الخطاب باستعمال حرف الجر (اللام) في التركيب القرآني ، و (اللام) ((ولام الإضافة، ومعناها الملك واستحقاق الشيء. ألا ترى أنك تقول: الغلام لك، والعبد لك، فيكون في معنى هو عبدك. وهو أخٌ له، فيصير نحو هو أخوك، فيكون مستحقاً لهذا كما يكون مستحقاً لما يملك. فمعنى هذه اللام معنى إضافة الاسم)) (سيبويه، ١٩٨٨، صفحة ج ٤ / ٢١٧) ، وبهذا المعنى اكتفى سيبويه أما الزجاجي فذكر أم من معانيها أنها تفيد الاختصاص والملك والاستحقاق والأمر ومنهم من ذكر لها معاني أصلية وفرعية (الزجاجي ع.، ١٩٨٤، صفحة ٤٠) أما الهروي فذهب الى أنها تأتي لمعنى (الى) كما في قوله تعالى (الحمد لله الذي هدانا لهذا) الأعراف ٤٣ أي الى هذا ، وتكون بمعنى (على) نحو قوله تعالى (يخرون للأذقان سجداً) الإسراء ١٠٧ أي على الأذقان ، وتأتي بمعنى (في) كقوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) الأنبياء ٤٧ أي (في يوم) ، ومعنى (من) نحو (سمعتُ لزيدٍ صياحاً) أي (من زيد) (الهروي، ١٩٩٣، صفحة ٢٨٧) وكذلك من معانيها أنها تفيد الاستحقاق والملك والنسب والتبيين والتبليغ وتأتي بمعنى الى وعن وعلى ولام الأمر والجحود والقسم والتعجب ولكي وغيرها من المعاني (الزجاجي ع.، ١٩٨٥، صفحة ٦٢)الذي نص صراحة على قصدية استعمال هذا الحرف بما يحمله من دلالة بتمكن اللام في هذا الموضع بما يحمله من منى مؤديا الوظيفة التي يقتضيه السياق والدلالة العامة للنص القرآني فلا تناوب ولا تضمين لوظيفة حرف جر آخر في هذا الموضع بعكس ما ذهب إليه بعضهم الذين أجازوا التناوب أو التضمين ، قال الفراء : إنّ حرفي الجر (اللام) و (في) يتناوبان في هذه العبارة ، فإن قيلت باللام (لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ) لكن يصح استعمال الحرف (في) بدلا عنها في

موضعها وتقدير الكلام فيه يكون ضمن فعل مضمر كأن نقول : جمعوا ليوم الخميس. فستكون اللام لفعل مضمر كأنهم جمعوا لما يكون يوم الخميس وإذا قلت: جمعوا فِي يوم الخميس فلا حاجة أن نضمر فعلا هنا وفي القول جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ أي للحساب الذي لا شك فيه (الفراء، ١٤٣١، صفحة ج ١ / ٢٠٢) .

قال الطبري : ((و قِيلَ: {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ} وَلَمْ يَقُلْ: فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ؟ قِيلَ: لِمُخَالَفَةِ مَعْنَى اللَّامِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَى فِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَكَانَ اللَّامِ «فِي» لَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ: فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ مَاذَا يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ؟ وَلَيْسَ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي دُخُولِ اللَّامِ، وَلَكِنَّ مَعْنَاهُ مَعَ اللَّامِ، فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِمَا يَحْدُثُ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ فَصْلِ اللَّهِ الْقَضَاءَ بَيْنَ خَلْقِهِ، مَاذَا لَهُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الْعِقَابِ وَأَلِيمِ الْعَذَابِ؟ فَمَعَ اللَّامِ فِي: {لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ} [آل عمران: ٩] نِيَّةُ فِعْلٍ وَخَبَرٍ مَطْلُوبٍ قَدْ تُرِكَ ذِكْرُهُ، أَجْزَأَتْ دَلَالَةُ دُخُولِ اللَّامِ فِي الْيَوْمِ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَعَ «فِي» فَلِذَلِكَ اخْتِيرَتِ اللَّامُ فَأُدْخِلَتْ فِي «لِيَوْمٍ» دُونَ (فِي))) (الطبري، ٢٠٠١، صفحة ج ٥ / ٢٩٩).

وهو ما ذهب إليه الراغب في تفسير قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩ ﴾ آل عمران: ٩ ، إذ قال : ((وإن قيل: لِمَ قال: (لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ)، ولم يقل (في)؟ قيل: لأنه أراد بقوله جامع الناس: حافظُهم ومحصيهم لذلك اليوم كما قال: (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا)، وكقوله: (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ))) (الاصفهاني أ.، ١٩٩٩، صفحة ج ٢ / ٤٢٦)

قال الأندلسي أن الْمُرَاد ب (ليوم) : لِجَزَاءِ يَوْم القيامة أَوْ لِحِسَابِ يَوْم العرض عليه فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَدَلَّتِ اللَّامُ عَلَيْهِ. أما ماهية اليوم الْمَجْمُوعُ لِأَجْلِهِ الناس فلَمْ يُذْكَرْ، وَظَاهِرُ هَذَا الْجَمْعِ في الآيتين (٩ ، ٢٥) أَنَّهُ الْحَشْرُ مِنَ الْقُبُورِ لِلْمُجَازَاةِ ،فجاء استعمال اسْمُ الفَاعِلِ هنا بِمَعْنَى الِاسْتِقْبَال ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَعْنَى الْجَمْعُ هُنَا أَي أن الله يَجْمَعُ الناس من مات وهو فِي الْقُبُور ومنهم من لم يمت منذ بداية الخلق الى يوم القيامة ، وَكَأَنَّ اللَّامَ هنا بِمَعْنَى لغاية أو إِلَى ، أَيْ: جَامِعُهُمْ فِي الْقُبُورِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَنُسِبَ الْجَمْعُ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ فيه على الزَّمَانِ، وَالضَّمِيرُ فِي: فِيهِ، عَائِدٌ عَلَى الْيَوْمِ، و الْجُمْلَةُ صِفَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَعَادَهُ عَلَى الْجَمْعِ الْمَفْهُومِ مِنْ جَامِعُ، أَوْ عَلَى الْجَزَاءِ الدَّالِّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى (الأندلسي أ.، ١٤٢٠، صفحة ج ٣ / ٣٣)·اللامُ للعلة أي: لجزاءِ يوم، ولم يُذْكَرْ المجموعُ لأجلهِ. و {لاَّ رَيْبَ} صفةٌ ليوم، فالضميرُ في «فيه» عائدٌ عليه. وأبعد مَنْ جَعَلَه عائداً على الجمعِ المدلولِ عليه بجامعٍ، أو على الجزاءِ المدلولِ عليه بالمعنى أو على العَرْض (الحلبي بو العباس شهاب الدين بن أحمد، ١٤٣١، صفحة ج ٣ / ٣٤)· وبذلك يكون الجمع في الآيتين من دوال الثبات (جامع ، جمعناهم) فاسم الفاعل أبلغ من استعمال الفعل (يجمع) لأن الأول يدل على الاستقبال و الثبات وهي حقيقة واقعة لا ريب فيها ، وكذا الحال في الفعل (جمعناهم) إذ استعمل بصيغة الماضي رغم عدم تحققه بعد للدلالة على أحقية هذه الحقائق بأنها حقائق مُسلَّم بها على

وجه اليقين والثبات بعكس استعمال المضارع الذي يدل على التجدد والتوقع في الحصول ، وكذلك الجمع للبشر إذ يبدأ من أول إنسان خلقه الله من البشر حتى آخر نفس تقبض روحها آخر الزمان بدلالة (جامع الناس ليوم) و (إذا جمعناهم ليوم) وهذه الوظيفة فيها دلالة انتهاء الغاية وهو ما لا يؤديها الحرف (في) لو حل محلها في هذا الموضع إذ لو استعمل الحرف (في) لاختل المعنى ولانتفى القصد المتأتي باستعمال اللام فيها ، وهذا الاستعمال لحروف الجر من روائع البيان القرآني و القصدية في دقة الوظائف النحوية في استعمال حروف الجر في القرآن الكريم فلا نيابة ولا تضمين في هذه المواضع وهي دلالة تمكن وظيفة اللام النحوية في تأدية الأغراض المبتغاة من هذا الاستعمال والله تعالى أعلم .

٢ . **تمكُّن وظائف حروف النفي** قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٤ ، والشاهد في الآية استعمال حرف النفي (لن) في قوله تعالى : (ألن يكفيكم) بدلاً عن (لا) ونص التمكن فيه ((وجيء ب «لن» دونَ «لا» لأنها أبلغُ في النفي)) (الحلبي بو العباس شهاب الدين بن أحمد، ١٤٣١، صفحة ج ٣ / ٣٨٤)، قال سيبويه فيها : ((وأنها في حروف النصب بمنزلة لم في حروف الجزم)) (سيبويه، ١٩٨٨، صفحة ج ٣ / ٥)، و((لن تَنْفِي الْمُسْتَقْبل كَقَوْلِك لن يخرج زيدٌ غَداً ... (لَا) نفي للمستقبل وَالْحَال وقبيح دُخُولهَا على الْمَاضِي لِئَلَّا تشبه الدُّعَاء أَلا ترى أَنَّك لَو قلت لَا قَامَ زيد جرت كَأَنَّك دَعَوْت عَلَيْهِ)) (الحلبي بو العباس شهاب الدين بن أحمد، ١٤٣١)، وبذلك فإنَّ (لنْ) يستعمل كحرف نصب ونفي في الكلام العربي بنصب الفعل المضارع من الناحية الإعرابية ، أما من الناحية المعنوية فيؤدي الحرف (لن) الوظائف النحوية الآتية (الانصاري، ١٩٨٥، صفحة ج ٢ / ٣٧٣):

١ . نفي حدوث الفعل المضارع في المستقبل البعيد، فمعنى /لن أفعل/ نفي لجملة /سوف أفعلُ .

٢ . تخليص المضارع الذي دخلت عليه للمستقبل، فتكون الجملة ذات دلالة قطعية.

٣ . توكيد نفي حدوث المضارع الذي دخلت عليه في المستقبل البعيد .

أي أنها ((تؤدي ثلاث وظائف نحوية في سياق واحد، ومقام واحد، وهي النفي في المستقبل البعيد، وتخليص الفعل المضارع للمستقبل، وتوكيد نفيه ، وهذا اقتصاد لغوي، وتوفير للجهد والوقت على المتكلم والمخاطب، ومنه قولنا: (لنْ يؤذيَ أحمدُ جيرانهُ) فقد نفت (لن) إيذاء أحمد لجيرانه في المستقبل البعيد، وأكدَّت هذا النفي، وخلصت فعل الإيذاء للزمان في المستقبل، فصارت الجملة ذات دلالة قطعية، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ البقرة: ٩٥ ، فقد نفت (لن) تمنيهم

للموت في المستقبل البعيد، وهذا أدعى لنفي تمنيهم له في الحاضر والمستقبل القريب، وأكدت هذا النفي، وخلصت الفعل المضارع (يتمنى) لزمن المستقبل)) (علي، ٢٠٠١ ، الصفحات ١٥٦ – ١٥٧).

أما في الآية المذكورة فمعنى قوله (أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ) الهمزة استفهامية يتبعه النفي بـ (لن) فجاء إنكاراً أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة. وإنما جيء بلن لتأكيد النفي ، للإشعار بأنهم كانوا لقلة عددهم وضعف عدتهم وكثرة عدوّهم و قوة شوكته كالآئيسين من النصر، وتمت الاجابة بـ (بَلى) لدلالة الإيجاب لما بعدها ، والمعنى : بل يكفيكم الإمداد بهذا التعزيز وهذه القوة ، فوجبت الكفاية لهم ، ثم قال لهم إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا يمددكم الله بأكثر من هذا العدد ملائكة مسوّمين للقتال وَيَأْتُوكُمْ يعنى المشركين مِنْ فَوْرِهِمْ هذا . وبه قال أبو حنيفة رحمه الله: أنَّ الأمر جاء بالفور لا على التراخي، وهو مصدر للفعل : فارتْ القدرُ، إذا غلتْ ، فاستعير بالفور للدلالة على السرعة ، والمعنى: أنهم إن يأتوكم من ساعتهم يُمْدِدْكُمْ الله بالملائكة في حال وصولهم يريد: أنّ الله يعجل نصركم و تحكم إن صبرتم واتقيتم الله (الزمخشري م.، ١٤٠٧، صفحة ج ١ / ٤١١).

لذلك جاء النص القرآني في ((قوله تعالى: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذا العدد من الملائكة، ومن حيث كان الأمر بيّناً في نفسه أن الملائكة كافية ، بادر المتكلم إلى الجواب ليبني ما يستأنف من قوله عليه فقال: بَلى وهي جواب المقررين)) (عطية أ.، ١٤٢٢ هـ، صفحة ج ١ / ٥٠٣)، أي أنَ ((مَعْنَى أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ إِنْكَارُ أَنْ لَا يَكْفِيَكُمُ الْإِمْدَادُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَإِنَّمَا جِيءَ بِلَنِ الَّتِي هِيَ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ)) (الرازي، مفتاح الغيب، صفحة ج ٨ / ٣٥٣)، ((وجيء بـ «لن» دونَ «لا» لأنها أبلغُ في النفي)) (الحلبي بو العباس شهاب الدين بن أحمد، ١٤٣١، صفحة ج ٣ / ٣٨٤)

وهكذا جِيءَ النَّفْيِ بِحَرْفِ (لَنْ) الَّذِي يُفِيدُ تَأْكِيدَ النَّفْيِ بشكل قطعي و لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّهُمْ عندما كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ بضعفهم وقِلَّتِهِمْ، مَعَ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وقوتهم كَالْآيِسِينَ مِنْ كِفَايَةِ عدد الْمَلَائِكَةِ المنزلين من الله بعدم نصرتهم ، فَوقَعَ الِاسْتِفْهَامَ التَّقْرِيرِيَّ إجابة قطعية لِمَنْ يُخَالِجُ نَفْسَهُ الْيَأْسُ مِنْ عدم كِفَايَةِ ذَلِكَ الْعَدَدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَهَذَا إِثْبَاتُ أَنَّ ذَلِكَ الْعَدَدَ كَافٍ. وَلكَوْنِ الِاسْتِفْهَامِ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ كَانَ جَوَابُهُ مِنْ قِبَلِ السَّائِلِ بِقَوْلِهِ: بَلى لِأَنَّهُ مِمَّا لَا تَسَعُ الْمُمَارَاةُ فِيهِ بين الطرفين ، فَكَانَ (بَلَى) إِبْطَالًا لِلنَّفْيِ، وَإِثْبَاتًا أن ذَلِكَ الْعَدَدِ كَافِيًا بلا شك في ذلك ، وهنا جاءت مطابقة لمَقَالَةِ النبي محمدِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِلْمُؤْمِنِينَ. جاء في قوله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾ الأنفال: ٩ التي نزلت في وَقْعَةَ بَدْرٍ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَ المؤمنين بِمَدَدٍ عَدَدُهُ أَلْفٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مردفين ، أما هنا فذكر أنه وَعَدَهُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ من الملائكة ثُمَّ صَيَّرَ عددهم خَمْسَةَ آلَافٍ من الملائكة ، وَوجه الْجمع بَين الْآيَتَيْنِ أنّ اللَّهَ وَعَدَ المؤمنين بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَطْمَعَهُمْ بِزِيَادَةِ عددهم بقوله: مُرْدِفِينَ بعدد آخر ، وَدَلَّ كَلَامُهُ هُنَا رغم هذا العدد إلا أَنَّهُمْ لَمْ

يَزَالُوا وَجِلِينَ خائفين مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ الْعَدُوِّ، فَقَالَ لَهُمُ النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ((أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ)) ، فأرادَ اللَّهُ بِذَلِكَ المدد من الملائكة والتمكين وزِيَادَةَ تَثْبِيتِ المؤمنين ثُمَّ زَادَ عددهم أَلْفَيْنِ إِنْ صَبَرُوا وَاتَّقَوْا ربهم ، وَبِهَذَا الْوَجْهِ فَسَّر جُمْهُور العلماء ذلكُ ، وَهُوَ الَّذِي اقتضاه السِّيَاقُ القرآني ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ نَزَلُوا في معركة بَدْرٍ لِنُصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقد شَاهَدَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ طَائِفَةً مِنْ الملائكة ، وَبَعْضُهُمْ شَهِدَ آثَارَ قَتْلِهِم لرِجَال مِنَ الْمُشْرِكِينَ وبتأييد الله تمت النصرة والتمكين (عاشور ا.، ١٩٨٤، صفحة ج ٤ / ٧٣).

الخاتمة

ختاماً أود أن أبين أنَّ دراستنا كانت انتقائية فيما أوردناه من أمثلة بعد أن تدارسنا **(تمكُّن للوظائف النحوية في سورة آل عمران) إلا أننا** توصلنا الى مجموعة نتائج يمكن إجمالها بالآتي :

١ . إنَّ التمكُّن في اللفظ القرآني هو تناسب اللفظة في المكان الذي جاءت فيه وتوافقها مع معاني ذلك النظم الذي احتواها ، لتكون الوظائف النحوية مرتبطة بالأدوار التي تؤديها اللفظة الواحدة بخروجها عن دلالة الوضع وموافقة التركيب وخصائصه والسياق الذي وردت فيه وقصدية منتج النص لما يرغب أن يصرَّح به.

٢ . إنَّ استخلاص وبيان الوظائف النحوية من النصوص في العربية ليست حكراً على جيل أو مكان أو زمان ، بل إنها متناثرة على جانبي طريق أهل العلم ينتقيها كل من يجيد استعمال أدوات الكشف والبيان مع الاستعانة بالأدلة والبراهين في سبيل اثبات تلك الوظائف .

٣ . الوظائف في العربية ليست محصورة بالوظائف النحوية فقط بل هناك وظائف أخرى بجانبها وهي الوظائف الصرفية التي تفرزها الصيغ والأبنية ورغم أننا لم ندرسها كوننا درسناها في فصل آخر من الأطروحة ومن زاوية أخرى وتحت مُسمى آخر إلا أنها تصلح مواضع للدراسة وفق هذا الضرب .

٤ . إن ينابيع العربية نضاخة لا تنضب بقدر جدية وهمة أهلها في الاستقراء والتقصي والبحث عن دقائقها وحقائقها فكلما غاصوا فيها كلما اكتشفوا النفائس والدرر الثمينة التي تزيد جمالا للغتنا الى جمالها وحيوية لتدفع عجلة حياتها في التطور والازدهار والتألق الى الأمام .

٥ . إنَّ دراسة تمكُّن كتاب الله ليست الغاية منها استظهار إعجازه بل هي تأكيد لقصدية انتقاء ألفاظه وقوتها في الموضع والبناء والنظم والوظيفة والدلالة التي تحيط بها لتكون بأسمى درجات الفصاحة والبيان

ومهما يكن نود أن نبين أنَّ هذا العمل عمل بشري لا يخلو من الزلل والهفوات والنقصان لأنَّ الكمال لله وحده ، فأن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فمن الله وما التوفيق إلا من الله الواحد القهار .

References

1. Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Wahidi (d. 468 AH) al-Wahidi. (1430 AH). Al-Tafsir al-Baseet. Kingdom of Saudi Arabia: Deanship of Scientific Research
2. .. Abu al-Saud al-Imadi Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa (d. 982 AH) Abu al-Saud. (1431). Guidance of the Sound Mind to the Purpose of the Noble Book. Beirut: Dar Ihya al-Turath
3. . Abu al-Abbas Ahmad ibn Muhammad ibn Ahmad al-Busili al-Tunisi (d. 380 AH) al-Busili. (1433). Al-Taqyeed al-Kabeer fi Kitab Allah al-Majeed. Riyadh, Saudi Arabia: College of Usul al-Din
4. .. Abu al-Fath Uthman ibn Jinni al-Mawsili (d. 392 AH) ibn Jinni. (1431). Al-Luma' fi al-Arabiyya. Kuwait: Dar al-Kutub al-Thaqafiyya
5. .. Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, known as Al-Raghib al-Isfahani (d. 502 AH) al-Raghib al-Isfahani. (1999). Tafsir al-Raghib al-Isfahani. Cairo, Egypt: Faculty of Arts, Tanta University.
6. . Abu Ja'far al-Nahas. (1421). I'rab al-Qur'an. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya
7. . Abu Hayyan Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Yusuf ibn Hayyan Athir al-Din (d. 745 AH) al-Andalusi. (1420). Al-Bahr al-Muheet fi al-Tafsir. Dar Sadir: Beirut.
8. . Abu Zakariya Yahya ibn Ziyad (d. 207 AH) al-Farra'. (1431). Ma'ani al-Qur'an. Cairo: Al-Dar al-Misriyya li al-Nashr.
9. . Abu Abdullah Muhammad ibn Umar ibn al-Hasan ibn al-Husayn, known as Fakhr al-Din al-Razi (d. 606 AH), Al-Razi. (1420). *Miftah al-Ghaib*. Beirut: Dar Ihya al-Turath, 3rd edition.
10. . Abu Muhammad Abd al-Haqq ibn Ghalib ibn Abd al-Rahman ibn Tamam ibn Atiyah al-Andalusi (d. 542 AH), Ibn Atiyah. (1422 AH). *Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
11. . Ahmad ibn (d. 395 AH) Faris. (1979). *Maqayis al-Lugha*. Beirut: Dar al-Fikr
12. .. Ahmad ibn Faris. (1979). *Maqayis al-Lugha*. Beirut: Dar al-Fikr.
13. Al-Jurjani. (2001). *Dala'il al-I'jaz fi al-Ma'ani*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya
14. .. Al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi. (1431). *Al-'Ayn*. Qatar: Dar wa Maktabat al-Hilal.
15. Al-Zamakhshari. (2001). *Sharh al-Mufassal*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
16. . Al-Samin al-Halabi Abu al-Abbas Shihab al-Din ibn Ahmad. (1431). *Al-Durr al-Masun fi 'Ulum al-Kitab al-Maknun*. Damascus: Dar al-Qalam.
17. . Al-Suyuti. (1974). *Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an*. Egypt: The Egyptian General Authority.
18. . Al-Tahir ibn Ashur. (1984). *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. Tunis: Dar al-Tunisiya.

19. Bakir Muhammad Ali. (2001). *Wazayif al-Ansar al-Nahwiyya*. Ankara, Turkey: Dar al-Uluhiyat Publishing, 1st edition.
20. . Tamam Hassan. (1993). Al-Bayan fi Rawa'i al-Qur'an. Cairo: Alam Al-Kutub Publishing, 1st edition.
21. . Hudhayfah Taqi al-Din al-Khatib. (2009). Al-Tamkeen: Its Foundations and Methods. Abu Dhabi: National Book House.
22. . Sibawayh. (1988). Al-Kitab. Cairo: Al-Khanji Library. 1985.
23. Aisha bint al-Shati'. (n.d.). Al-I'jaz al-Bayan lil-Qur'an wa Masa'il bin al-Azraq. Beirut: Dar Al-Ma'arif.
24. Abdul Haq bin Ghalib bin Atiyah. (1432 AH). Al-Muharrar al-Wajeez. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah.
25. . Abdul Rahman bin Ishaq Abu al-Qasim al-Zajjaji. (1985). Al-Amaat. Damascus: Dar Al-Fikr.
26. . Abdul Rahman bin Ishaq al-Zajjaji. (1984). Huruf al-Ma'ani wa al-Sifat. Beirut: Dar Al-Risalah.
27. . Abdul Aleem Bouftah. (2013). Syntax Structures and Their Rhetorical Functions. Algeria: Dar Al-Tanwir.
28. Abdullah bin Yusuf bin Ahmad bin Abdullah bin Hisham al-Ansari. (1985). Mughni al-Labib fi Kutub al-A'arib. Damascus: Dar Al-Fikr.
29. . Ali bin Muhammad al-Harawi. (1993). Al-Azhiyah fi 'Ilm al-Huruf.
30. . Amr bin Uthman bin Qanbar al-Harithi bi-l-Wala', Abu Bishr, nicknamed Sibawayh. (1988). Al-Kitab. Cairo: Al-Khanji Library.
31. . Fadel Saleh al-Samarrai. (2000). Meanings of Grammar. Jordan: Dar Al-Fikr for Printing and Publishing.
32. .. Fadel Mustafa Al-Saqi. (1977). The Categories of Arabic Speech in Terms of Form and Function. Cairo: Al-Khanji Library for Publishing.
33. . M. M. Fahd Khalaf Ali, Prof. Dr. Hassan Ali Taha, Dr. Muhammad Yas. (2021). Semantic Critique in Prepositions according to Dr. Fadel Al-Samarrai (Syntax Meanings as a Model). Journal of Tikrit University for Humanities: Journal of Tikrit University for Humanities / Volume 28 - Issue 8.
34. . Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad Al-Tahir bin (d. 1393 AH) Ashur. (1984). Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Tunis: Tunisian House.
35. . Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir, Abu Ja'far Al-Tabari (d. 310 AH), Al-Tabari. (2001). Jami' al-Bayan fi Tafsir Ay al-Quran. Cairo, Egypt: Dar Hajar for Printing and Publishing.
36. (d. 803 AH) Ibn 'Arafa. (2008). Tafsir Ibn 'Arafa. Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
37. . Mahmoud bin Amr bin Ahmad Al-Zamakhshari (d. 538 AH). (1407). Al-Kashaf ‘an Haqaiq Ghawamid al-Tanzil. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya. 3rd edition.
38. . Mustafa bin Muhammad Salim Al-Ghalayini (d. 1364 AH) Al-Ghalayini. (1993). Jami' al-Durus al-Arabiya. Beirut: Al-Maktaba Al-Asriya, Saida.
39 Ibn Ali Ibn Yaish, the son of Abu al-Saraya Muhammad ibn Ali, Abu al-Baqa, known as Ibn Yaish and Ibn al-Sani' (died 643 AH), Ibn Yaish. (1987 AD). Sharh al-Mufassal by al-Zamakhshari. Dar al-Ilm lil-Malayin for Printing and Publishing: Beirut, 4th edition.